المحاضرة رقم (3):

أثر الإسلام في الشعر والشعراء

توطئة:

إنّ مجئ الإسلام إلى الجزيرة العربية، كان قد أحدث ثورة على حياة قاطنيها، لا من حيث تغير أنماط معايشهم، وطرائق حيواتهم؛ بل مس التغيير القيم، والأفكار، والتصورات، وامتد التغيير إلى مناحٍ عدة، حتى وصل إلى عواطفهم، ومشاعرهم، وفنون قولهم، وهذا أمر طبيعي بالنّظر إلى شمولية رسالة الإسلام، وما حملته هذه الرسالة السماوية من إعجاز أكثر ما تجلى في القرآن الكريم، الذي عدّه الدارسون ظاهرة نصيّة تحمل بين جنباتها أسرار النّظم، وبلاغة الإعجاز.

أولا: موقف الإسلام من الشعر:

لم يقف الإسلام موقفا معاديا للشعر؛بل راح يوجهه،وينقحُ ما فيه من محمولات الجاهلية التي تتعارض وطبيعة الدّين الجديد القائم على نشرالوعي،وتقويم الأخلاق، وتهذيب السلوك، ثم إنّ الشعر قبل هذا، كلام ينطبق عليه ما ينطبق على سائر الكلام من أحكام الحلال والحرام، فضلا على أنّ القرآن الكريم والحديث الشريف قد ذكرا الشعر والشعراء في غير ما مرة.

1- في القرآن الكريم:

وردت ملفوظة "الشعر" في نصوص القرآن الكريم مرات عدّة،منها قوله تعالى:(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)[1]، وليس في الآية ما يشي بأن القرآن ينتقص من قدر الشعر، وإنما هو ينفيه عن النبي الكريم؛ ذلك أن مهمة الأنبياء تبليغ الرسالات، لا إنشاد الشعر في الندوات والخلوات، وفي الآية أيضا ما يومئ إلى أنه لا صلة بين الشعر والقرآن، وفي ذلك ردٌّ على مقولات المشركين الذين يعتقدون أنّ القرآن الكريم قريب الصلة بالشعر، وهو ما نفاهالقرآن في قوله: (فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ۝وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الحاقة:38-43.

وفي مقام قرآني آخر نجد ذكر الشعراء في سياق الغواية واتباع الأهواء، فيقول الله تعالى:(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ۝إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)الشعراء : 223.

وتعليقا على الآية الكريمة وما جاء فيها،يمكن درء التهمة عن الشعر من خلال تأمل مقاصد الآية وما ترمي إليه:

- إن المراد بالشعراء هم الشعراء الغاوون، الذينيجمعهم الكذب والضلال والتيه؛ فقد يذكرون من صنائع الخير ما لا يقدرون عليه.
- إن هؤلاء الشعراء يذهبون في شعرهم مذاهب شتى، عن قصد وعن غيره، بل غالبا ما يجورون عن الحق، ويفسدون طريق، ويقطعون سبيل الرشاد.
- إن الدليل على أن الآية تقصد شعراء المشركين هو الاستثناء الذي جاء في آواخر الآية(إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، وهو استثناء

1

خاص بالشعراء الذين يؤمنون بالدين الجديد، ويعملون الصالحات،وينهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف.

وخلاصة القول إن الآية لا يصح الاستدلال بها على كراهية القرآن للشعر، لأن القرآن لم يكره الشعر من حيث هو شعر، وإنما يكره شعراً معيناً ويكره شعراء بعينهم وهم الذين يؤذون الرسول والمؤمنين وأما الشعراء الذين دافعوا عن الاسلام، وذادوا عن حوضه وترسموا الأخلاق الفاضلة والقيم العالية فهذه الطائفة التي يجلها القرآن.

ومما يستشف من ما سبق أن الآية الكريمة لا يصح الاستدلال بها على أن القرآن الكريم نفر من قول الشعرو إنشاده من حيث هو شعر، بل يمكننا القول إن للاسلام رؤية خاصة في نظرته للفنون عامة، وللشعر خاصة، فهو يرى بعين القيم والمثل، وعلى هذا الأساس يجب على الشعرأن يكون شعرا رساليا حاملا للقيم والاخلاق وبناء مجتمع على قواعد الخير والفضيلة والقيم.